

يعرف أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بـ "ابن جني" (941-1002 م) اللغة:

"أصواتٌ يُعَبَّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم".

وهو تعريف دقيق يذكر فيه أبرز الجوانب المميزة للغة، فيشير أولاً للطبيعة الصوتية لها: يركز على أن اللغة تعتمد على الأصوات كوسيلة أساسية للتعبير. ويرز وظيفتها التواصلية-الاجتماعية: أن اللغة تُستخدم كوسيلة للتعبير عن الأفكار والأغراض المختلفة بين أفراد الأمة. ويؤكد على اختلاف البنية اللغوية باختلاف المجتمعات الإنسانية. ابن جني: هو عالم نحوي كبير وأحد أئمة اللغة العربية، لُقّب بفيلسوف النحو، واشتهر بكتابه "الخصائص" و "سر صناعة الإعراب". ولد ونشأ وتعلّم بالموصل. تتلمذ فيها على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش. أما أعماله وأهميتها في اللغة: كتاب الخصائص: يعد أهم كتبه، تناول فيه بنية اللغة وفقها ووضع أسسًا علمية لدراسة خصائص اللغة العربية.

ما يهمنا هنا أن اللغة هي أصوات تحمل دلالات يقوم بها التفاهم بين البشر حين يتخاطبون ويعبرون عن أنفسهم. وأن الأساس في الظاهرة اللغوية هو النطق/ الصوت، وهو أساس تقوم عليه أكثر الدراسات اللغوية المعاصرة. وأن اللغة العربية تقوم على 28 حرفاً، وتنظم هذه الحروف في 34 صوتاً بين طويل وقصير وبين صامت وصائت.

ما هي الصوامت والصوائت في اللغة العربية؟

قسم العرب الأصوات إلى صوائت وصوامت: أي صوت كلّامي ينتمي إلى قسم من القسمين. وقبل أن نحدد الأصوات العربية التي يصدق عليها لفظ "صوائت" وتلك التي يصدق عليها لفظ "صوامت" ينبغي أن نسأل: ما هو الأساس الذي بني عليه تقسيم الأصوات إلى هذين القسمين؟

1- يحدد الصوت الصائت "في الكلام الطبيعي" بأنه الصوت "المجهور" الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحياناً، دون

أن يكون ثمة عائق "يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً" أو تضيق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً. الصوائت جميعاً مجهورة.

2- الصوت الصامت: هو الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نقطة أن يعترض مجرى الهواء اعتراضاً كاملاً "كما في حالة الباء" أو اعتراضاً جزئياً من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم. "كما في حالة الثاء والفاء مثلاً". الصوائت منها ما هو مجهور ومنها ما هو مهموس. سميت الصوائت بذلك لأنها أقل وضوحاً في السمع من الصوائت.

قسم علماء اللغة المحدثون الأصوات إلى ثلاثة أقسام:

الصوائت: وهي الحركات من فتحة وضمة وكسرة وكذلك مدها، أي إطالتها التي عرفها العرب ب (ألف المد) و (واو المد) و (ياء المد)، والصفة التي تجمع بين قصيرها وطويلها هي الوضوح في السمع، ذلك أن الهواء حين يندفع من الرئتين ماراً بالحنجرة يتخذ مجراه في الحلق والفم بحيث لا يجد ما يعترض سبيله من عوائق ومن ثم يضيق مجرى الصوت قليلاً فيحدث ذلك نوعاً من علو الصوت.

2

الصوائت: مثل الحروف: ب ث ج.

وإنما سميت بذلك لأنها أقل وضوحاً في السمع من الصوائت وهي الحركات، وذلك لأن الحروف عند النطق بها يعترض لها في الفم والحلق والشفيتين معترض، فيضيق معه مجرى الهواء فيقلل من علوها.

أشباه الصوائت: وهي: - الياء في نحو سيّد، بئِن، زَيْت، جيّد. والواو في نحو: يَوْم، صَوْم، لَوْم. ظبي، طبيّ. دلو، ضو.

المراجع:

كتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي - د. محمود السعران

أبيات من شعر أحمد شوقي:

وَالشَّعْرُ فِي حَيْثُ النُّفُوسِ تَلَدُّهُ لَا فِي الْجَدِيدِ وَلَا الْقَدِيمِ الْعَادِي

أَوْ دَعِ لِسَانَكَ وَاللُّغَاتِ قُرْبًا غَنَى الْأَصِيلِ بِمَنْطِقِ الْأَجْدَادِ

إِنَّ الَّذِي مَلَأَ اللُّغَاتِ مَحَاسِنًا جَعَلَ الْجَمَالَ وَسْرَهُ فِي الضَّادِ

يشيد أحمد شوقي باللغة العربية، مؤكداً أنها اللغة التي جعلت الجمال وسره في "لغة الضاد" يعبر الشاعر في هذا البيت عن عظمة اللغة العربية وجمالها الفريد وتفوقها على سائر اللغات في إبراز محاسن اللغة وأساليبها البديعية. معنى البيت: "إن الذي ملأ اللغات محاسناً... يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي منح كل اللغات مزايا وجمالاً "جعل الجمال وسره في الضاد". الله يختص اللغة العربية بجوهر الجمال وسره وتبرزه بشكل لا مثيل له.